

الطرق المنهجية لتدريس اللغة العربية

د. محمد شوشان

جامعة أحرار

يقول أبو حيان التوحيدي في الليلة السادسة من كتاب الامتاع والمؤانسة عن اللغة العربية ما يأتي:
"قد سمعنا لغات كثيرة _ وإن لم نستوعبها _ من جميع الأمم فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية، أعني الفرج التي في كلماتها، والفضاء الذي بين حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي ندوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا يتحد في أبيتها، وإن شئت أن تعرف حقيقة هذا القول وصحة هذا الحكم، فالحظ عرض اللغات الذي هو بين أشدها تلابسا وتداخلا وترادفا وتعاضلا وتعسرا وتعوصا، وإلى ما بعدها مما هو أسلس حروفا، وأرق لفظا وأخف اسما، وألطف أوزانا وأخضر عيانا، وأحلى مخرجا وأجلى منهجا وأعلى مدرجا، وأعدل عدلا وأوضح فضلا وأصح وصلا، إلى أن تنزل إلى لغة بعد لغة ثم تنتهي إلى العربية فإنك تحكم بأن المبدأ الذي أشرنا إليه في العوائض والإغماض سرى قليلا قليلا حتى وقف على العربية في الإفصاح والإيماض¹.

الطرق المتبعة في تدريس اللغة العربية

الطريقة أحد أركان التعليم: المعلم والمتعلم والكتاب وطريقة التدريس.
وقد كانت الدعوة إلى تيسير مادة النحو وتهذيبها قديمة، فقد ألف بعض النحاة الأقدمين كتباً تناسب المبتدئين منها كتاب الواضح في النحو لأبي بكر الزبيدي وغيرها من الكتب التي تفصح عن منهج مؤلفي هذه الكتب بإعطاء الضروري من علم النحو.

¹ _ أبو حيان علي بن محمد التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، دمشق 1978. ج 1 ص 121.

ومهما قيل في الكتاب الجيد والمنهج العملي وإن هناك دافعا للتعلم لدى الطلاب وأن المعلم متمكن من مادته، فإن هذه العناصر على أهميتها قد لا تحقق تعلمًا جيدًا ما لم تكن هناك طريقة جيدة يتبناها المعلم تيسر له تفهيم المادة للطلاب وتحب درس اللغة إلى نفوسهم. ومما لا شك فيه أن هناك علاقة مباشرة بين طريقة التدريس وحب المتعلم للغة أو نفوره منها. وبالتالي هناك علاقة مباشرة بين الطريقة وتخصيل العلم.

أشرنا إلى أثر الطريقة في التعلم ولكن لا بد من ملاحظة هامة جدا هي أن الإنسان يتعلم إن كانت لديه الرغبة في التعلم، وكانت لديه القدرة على التعلم، وأتيحت له الفرصة وقدم إليه الإرشاد فيما يتعلم. غير أن الفرصة والقدرة والإرشاد لا تجدي نفعًا في التعلم إن لم يكن لدى الإنسان ما يدفعه إلى التعلم¹. هذا ما يخص المتعلم، أما من جانب المعلم فإن التدريس الجيد يعتمد على ذكائه وحبه لمهنته، وجودة إعداداته، ولوعيه بأهمية رسالته وخطورتها دور كبير في خلق المناخ اللازم لنجاحه في التدريس.

وطريقة التدريس هي أساليب ونشاطات يشترك فيها المعلم والمتعلمون لتحقيق الهدفين العام والخاص من تعليم مادة ما: وقبل مناقشة طرائق التدريس المختلفة في تعليم العربية، لا بد من الإشارة إلى أن بعض هذه الطرائق قديمة ولم تدخل بعد الطرائق الحديثة في تعليم اللغة العربية، وفيما يأتي أهم الطرائق المستخدمة في تعليم اللغة العربية حالياً في مدارسنا:

1 - الطريقة الاستقرائية

ورد الفعل استقرأه في لسان العرب استقرأ طلب منه أن يقرأ، إن الاستدلال يحصل بإحدى طريقتي الاستقراء أو القياس، فحينما يسير المعلم بطريقة الاستقراء يكون الانتقال فيه من الجزئي

¹ - إبراهيم ناصر. مقدمة في التربية، عمان 1980. ص 57.

إلى الكلي¹ فعندما يعرض المدرس للطلاب أمثلة لتركيب لغوي يريدون أن يتعلموه ثم يحملهم على تفحصها ومقارنتها، ثم استنباط القاعدة اللغوية نكون قد اتبعنا (طريقة الاستقراء). ففي الاستقراء تفحص الأمثلة أو النماذج وتقرآن ثم تستق القاعدة أي أننا ننتقل من الخاص إلى العام، أي من الأمثلة إلى القانون أو المبدأ، أو التعريف، ويرى البعض أننا في الاستقراء نبسط الأمثلة ثم نبحث عن القانون، فإذا سبقنا كلا من الطريقتين في التربية وجدنا حاجة إلى الاستقراء من جهة وإلى القياس من جهة أخرى: فعند التعرض لموضوع جديد يجب أن يقوم الاستقراء بالدور الأول، حتى إذا تقدمنا وأصبحت المعلومات متوفرة وجدنا أن القياس مفيد في مراجعة المعلومات السابقة وترتيبها².

2 طريقة القياس

هناك طريقة مختلفة للوصول إلى القوانين العامة أو القواعد الأساسية، تلك التي كانت تعطي المتعلم حقيقة عامة يقيس عليها أمثلة تؤيدها وتنطبق عليها، وهي طريقة شائعة في كتب النحو العربي والأوروبي القديمة، حيث يبدأ المعلم بذكر التعريف ويعطي مثالا تطبيقيا ثم يحمل المتعلمين على إعطاء أمثلة ينطبق عليها التعريف. وهذه الطريقة امتازت بسهولتها، حيث يعطي المعلم التعريف ويضرب مثالا، ويحمل الدارسين على أن يأتوا بأمثلة قياسا على النموذج، فالقياس شكل أساس للتفكير أو طريقة من طرائق التدريس فالطريقة القياسية عكس الطريقة الاستقرائية حيث يتم فيها عرض القاعدة أولا ثم ذكر الأمثلة أي - التطبيقات للقاعدة أو التعريف - ويكون المعلم في ذلك قد اتبع الطريقة القياسية.

ومما تجدر ملاحظته أن الأطفال لا يفهمون التعاريف ببسر إلا إذا اطلعوا على أمثلتها، ولا يدركون القاعدة إلا بعد أن يروا تطبيقها، فتقدم التعريف أو القاعدة على الأمثلة يكون بمثابة

¹ - ساطع الحصري، دروس في أصول التدريس، مطابع الغندور 1962، ج 1 ص 51.

² - صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، القاهرة دار المعارف (د ت) ج 1 ص 249.

تقدم الصعب على السهل، ولذا فاتباع القياس في المرحلة الابتدائية ليس بالأمر الهين على الطفل، فالاستقراء حيث الانتقال من الأجزاء إلى الكلّيات أهون عليهم من القياس أما في المراحل الأخرى المتوسطة والإعدادية فليس هناك من منحور.

ومع هذا فإن الاستدلالات العقلية لا يمكن اقتصرها على المحاكاة الاستقرائية فلا بد من الرجوع إلى المحاكات القياسية أيضاً¹.

والملاحظ أن المعلم الجيد لا يكون عبداً لطريقته، فمن مدرسي اللغة العربية من يقوم بتدريس قواعدها على الطريقة الاستقرائية، ومنهم من يدرسها على الطريقة القياسية، وآخرون على طريقة النص. وقد يمزج أو يؤلف فريق آخر بين طريقتين أو أكثر من هذه الطرائق. علماً بأن بعض المربين يقولون بأفضلية الطريقة الاستقرائية، وبخاصة في المرحلة الابتدائية².

3- طريقة النص

تعتمد هذه الطريقة على اختيار نص يقرأ ويحلل فيتوصل الطلاب من خلال ذلك إلى القاعدة أو التعريف، وبالإضافة إلى توصيل الطلاب إلى قواعد اللغة فإنهم يستفيدون لغة وثقافة وأدباً فعن طريق النص يتصل طلابنا بتراث أمتهم الرفيع قديماً وحديثاً، وبما أن النص قد لا يفي بجميع المتطلبات، فلا بد للمدرس من إعداد جمل مكملة للنص، وأن يراعي في الجمل والنص الجانب التطبيقي.

لقد أخذت الكتب المدرسية الجديدة بأسلوب النص، ولكن مع الأسف إن قسماً من تلك النصوص مقحمة إقحاماً وموضوعة بشكل جامد، كما في موضوع الأسماء الخمسة في كتاب قواعد اللغة العربية للصف الأول المتوسط (كان أبو زيد إنساناً طيباً يساعد أخاه في محله التجاري لأنه كان راقداً في المستشفى الخ)³ أو موضوع نائب الفاعل في الكتاب نفسه.

¹ - الخصري، المصدر السابق، ج 1 ص 55.

² - محمد صالح سملك، فن التدريس اللغة العربية والتربية الدينية، القاهرة مكتبة الانجلو مصرية 1969. ص 460.

³ - الجمهورية العراقية، قواعد اللغة العربية، (كتاب مدرسي) ص 11.

إن العقل الجبار الذي عالج مشكلة تيسير النحو هو العلامة ابن خلدون فاقترح اختيار النص الجيد الذي عن طريق تحليله يتوصل المتعلمون «إلى فهم اللغة حين تسمع، وفهمها حين تقرأ وفهمها للآخرين بواسطة الكلام الشفهي، وفهمها لهم بواسطة الكتابة»¹.

فالطريقة التي تتبعها إما أن تحبب اللغة العربية إلى المتعلمين وإما تنفرهم منها فأكثر النصوص التي اختيرت في الكتب الجديدة جامدة وبائسة ومنفرة، فلو أخذنا النص الآتي على سبيل المثال. وقام المتعلمون بتحليله واستخراج قواعد اللغة العربية منه بمساعدة المعلم، لكان أحسن وأجدي على ما أظن.

النص المقترح:

«وقف أمير على باب طحان، فرأى جرساً في رقبة الحمار فجرى الحوار الآتي بين الأمير والطحان:

الأمير: لماذا وضعت جرساً في رقبة حمارك أيها الطحان؟
الطحان: إن أدركني النعاس ولم أسمع صوت الجرس عرفت أن الحمار لا يدور في الطاحون.

الأمير: فإن وقف الحمار وحرك رأسه، فما أدراك أن الحمار يدور في الطاحون؟
الطحان: ومن لي بحمار يمثل عقل الأمير؟»

4 طريقة المذاكرة

وهي من أقدم الطرق، ويكون فيها المعلم محور النشاط، فهو القطب الموجب والطلاب في القطب السالب، لأن دورهم مقصور على الاستماع. وهذا الدور السلبي يقعد المتعلمين عن الدرس. ويدعو إلى عدم الانتباه، والولوع في أحلام اليقظة. وحجة بعض المدرسين في اتباع

¹ — نعمة رحيم العزاوي، مناهج اللغة العربية وسبل تطويرها، بغداد 1979. ص 4.

هذه الطريقة تضخم المنهج وعدم وجود الوقت الكافي لاتباع طرائق تدفع إلى جذب الطالب إلى الدرس.

ويؤخذ على هذه الطريقة أنها لا تنمي التفكير وروح المنافسة عند الطلاب لعدم المشاركة الفعالة في الدرس وإنما الطلاب مستمعون ومتفرجون، وحتى في الجامعات فإنها غير صالحة تماماً ما لم تطعم بالصور والأفلام كمتسلسلة "أين مكاني في الإعراب؟"، وعروض من كتب اللغويين الأعلام وقراءات واستشهادات، بحيث تصبح هذه الوسائل قسماً من المنهج التحريفي في طريقة المحاضرة.

ومع قصور طريقة المحاضرة فإننا لا نلجأ هذه الطريقة نهائياً بل يمكن الاستفادة منها أحياناً في موضوعات تحتاج إلى استعراض أمور متسلسلة، وأن تقطيعها بالسؤال والجواب ... يقضي على التواصل الفكري، ولهذا فهناك طرائق تدريسية أحسن وأفضل من طريقة المحاضرة في مراحل الدراسة قبل الجامعية لتدريس اللغة العربية.

طرائق التدريس الحديثة

1- طريقة المناقشة الاجتماعية

وهي من الطرائق الرئيسة الأخرى التي يمكن استخدامها في تدريس اللغة العربية، وتستغل هذه الطريقة طرائق التدريس الأخرى مثل الاستقراء والقياس أو طريقة النص، وللمناقشة الاجتماعية حسنات كثيرة سنذكر أهمها على سبيل التمثيل:

- أ - أن أهم حسنات هذه الطريقة إشراك الطلاب في المناقشة وفي استخلاص التعاريف والقواعد وتفسير المعاني وتحليل الشعر ... الخ، من موضوعات فروع اللغة المختلفة.
- ب - أنها تعزز التفكير العلمي، وتعود الطلاب على الدقة في التعبير والتحليل والاستدلال والتقويم.
- ج - عن طريق المناقشة الاجتماعية سيتحسس المعلم جوانب الضعف والقوة في طلابه في المواد التعليمية التي فوق مداركهم وتلك التي هي دون مستوياتهم، وسيتم له تقويم دروسه تدريجياً.

د - تكون المناقشة الاجتماعية الشجاعة الأدبية في الطالب فهو يسأل ويجيب، ويتبارى مع زملائه، فيتعرف على قابلياته الخاصة كما يتحسس كفاءات زملائه فيتعلم منهم ويعلم أحياناً ما لا يعرفون وهذا يخرج المتعلم من دور المتلقي إلى دور المعطي، فيندفع إلى حب الدرس ويشعر بإمكانات لغته فيعتز بها، ويتفاخر بأنها مفخرة بين لغات العالم - إن طريقة المناقشة الاجتماعية تدفع المعلم والمتعلم كليهما إلى التحضير والقراءة وتتبع هذه اللغة العظيمة فيعتزان بتراث أمتهم عن طريق لغتهما، ولهذا ينكمش المعلم الضعيف عن استخدام هذه الطريقة الفعالة ويكتفي بالمادة التي جاءت في الكتاب المقرر، مستعيناً بالأمثلة والتعاريف الجاهزة وأحياناً ينقلها دون أن يتعب نفسه بأمثلة من عنده، فلا تنوع في الدروس مما يؤدي بطبيعة الحال إلى عزوف الطالب عن مادة اللغة، فيتجهز لها، وقد ينعته بالصعوبة فيجفوها. وهذه هي الخسارة الكبرى التي نخشاها على لغتنا.

وينجب أن نتذكر أن طريقة المناقشة الاجتماعية في تدريس اللغة العربية تتطلب من المعلم الالتفات إلى النواحي الآتية:

- لا مناقشة دون تخطيط مسبق وتحديد خطة عمل عن حدود المادة اللغوية التي يجب أن تقدم خلال الدرس وطريقة تقديمها والنتائج التي يجب أن يتوصل إليها الطلاب بمساعدة المعلم، فلا بد من تحديد المسار وفق زمن الدرس حتى لا يختلط الأمر على المعلم فيفلت زمام الأمور من يديه.

- أن ينحو المعلم نحو الأسئلة الفكرية التي تدفع الطلاب إلى إمعان النظر ومحاولة تقسيم الجواب الصحيح وأن تكون الأسئلة بعيدة عن أي تعقيد، ومحاولة صياغتها بأكثر من شكل واحد حتى يحصل فهمها.

- إن الأسئلة التي توجه إلى المعلم من الطلاب يحسن محاولة طرحها على الطلبة لإيجاد الجواب الصحيح، مع محاولة مساعدتهم عندما يتطلب الجواب مساعدة المعلم.

— يجب أن يعطى الطالب الوقت الكافي لإيجاد الجواب الصحيح، والابتعاد عن الأجوبة المرتجلة لأن الهدف هو تعويد الطلاب على التفكير العلمي عند الإجابة.

— أن يكون المعلم نموذجاً حسناً في احترام آراء الطلاب حتى يقتدوا به في احترام آراء زملائهم حتى ولو كانت غير دقيقة لأن الازدراء أو التهكم يضعف وقد يزعزع ثقة الطالب بنفسه، وهذا يجب تحاشيه دائماً.

— إن كتابة بعض الأمثلة أو التعاريف أو الخلاصات على السبورة ضرورة لطريقة المناقشة الاجتماعية حتى يتسنى للمعلم أن يرى كيف حول الطالب التعبير الشفوي إلى تعبير كتابي فأشراك الطلاب في مثل هذا النشاط ضرورة في طريقة المناقشة الاجتماعية.

2- الطريقة الاستكشافية أو الاستطلاعية

وهي من طرائق التدريس، ومن أهم ميزات ما أنها تنقل الطالب من مستقبل للمادة اللغوية من المعلم أو وسائل له، للحصول على معرفة لغوية، إلى أن يصبح الطالب خلال توجيه بسيط من المعلم، إلى متعلم بنفسه يتفحص الحقائق ويكتشف القواعد أو يحلل شخصية شاعر من خلال شعره.

إن هذه الطريقة الحديثة وسيلة لممارسات عقلية لم تدخل بعد جدران مدارسنا ولكن، لو أن كليات التربية ومعاهد المعلمين ودورها أدخلت هذه الطريقة في مناهجها، لأحدثت هزة في طرائق التعليم.

فهذه الطريقة الحديثة تساعد الطلاب على مواجهة المشكلات وإيجاد حلول لها، الأمر الذي يتطلب تقصي المعلومات. وهنا يجيء دور المعلم الذي يعينهم ليس بإعطاء الحلول، وإنما باستخدام معلوماتهم وقابليتهم للوصول إليها.

إن الهدف الأساسي للطريقة الاستكشافية هو أن نجعل الطالب يفكر بدلاً من أن يكون مستقبلًا للمعلومات من المعلم أو الكتاب، إذن هذه الطريقة تنقله من الاعتماد على المعلم إلى الاعتماد على النفس¹.

والفرق بين هذه الطريقة وطرائق التعليم الأخرى، هي أن الاستكشاف لا يشجع على حفظ المادة اللغوية من أجل الامتحان، وإنما ينمي المهارة الفكرية لدى المتعلم بإشراكه الفعلي في الوصول إلى العلم الحقيقي بجهده وجهد زملائه من الطلاب.

رأينا مما سبق أن الهدف من تعليم اللغة هو اكتساب المهارات الآتية:

1. _ التعبير الشفهي

2. _ القراءة

3. _ التعبير الكتابي

ولا تكتسب هذه المهارات نظرياً، وإنما يتم ذلك بالتدريج بواسطة التدريب على اللغة وممارستها في مواقفها الطبيعية.

إن المتخرج من المدرسة الثانوية، في الأعم الأغلب، مقصر في بلوغ الأهداف الثلاثة:

_ فهو ليس بمستطاعه الكلام باللغة العربية الفصيحة، فإذا حاول الكلام بها فإنه سرعان ما يترلق إلى الكلام بلهجته العامية.

_ كما أن المتخرج في الثانوية غير قادر على القراءة دون خطأ وتردد، وأن تعبيره الكتابي ركيك وغير منسق، علماً بأن التلميذ يدرس العربية من السنة الأولى الابتدائية إلى أن يتخرج خلال ما يقارب الـ (3000) ساعة داخل المدرسة، أثناء المراحل التعليمية الثلاث، عدا ما يمضيه خارجها في إتمام فروضه ودروسه².

¹ _ رؤوف عبد الرزاق، اتجاهات حديثة في تدريس العلوم، بغداد 1976، ص 68 _ 75.

² _ الجمهورية اللبنانية، مركز الأبحاث اللغوية والتربوية، طريقة لتعليم العربية، بيروت 1983، ص 3.

إن بعض طرائق تعليم اللغة لا تراعي المبادئ التربوية ولا ترسم سياسة تربوية متكاملة، لهذا لا توصل المتعلم إلى اكتساب المهارات اللغوية، والكتاب الذي هو عماد الطرائق المستعملة في المدارس فإنه عنصر واحد، حتى لو كان جيد التأليف والإخراج، فكيف به لو كان رديفاً؟ أضف إلى ذلك أن إعداد المعلم، الذي هو مركز الاهتمام الأساسي في الدرس فإن إعدادهم يتم في إطار نظريات تربوية مع ضعف الجانب التطبيقي، أما المعلمون الذين لم يتخرجوا في دور المعلمين فإن رصيدهم التربوي لا يتعدى خبراتهم الخاصة وهذا لا يفي بغرض تعليم اللغة العربية.

تعني الطرائق الحديثة لتعليم اللغات بأمور أساسية من بينها "المضمون اللغوي" أي المفردات والتراكيب الصرفية والنحوية.

1- المفردات: ينطلق اختيار المفردات من مبدأ اللغة الأساسية - أي مجموعة المفردات الأكثر استعمالاً - ويعتمد الباحثون على المفردات الشائعة في الحياة العامة. وقد ظهرت قوائم المفردات في أوائل القرن العشرين، نتيجة انعكاس النظرة الوظيفية للكلمة، حتى يزود بها الطفل لتكسبه القدرة على القراءة والتعبير الشفهي والكتابي¹.

2- التراكيب الصرفية والنحوية: إن اللغة العربية تفتقر إلى لائحة للتراكيب الصرفية والنحوية الأكثر استعمالاً في التخاطب الشفهي والكتابي. وسنراعي في وضع ذلك التدرج بعض المبادئ كأن نقدم في الدروس الأولى المضارع والأمر على الماضي لأن هذه الدروس تدور حول المحاور التي تفرض استعمال المضارع والأمر قبل الماضي.

3- تدرج التراكيب والمفردات حسب متطلبات التخاطب: إن معرفة المفردات الأكثر تواتراً والتراكيب الأكثر ظهوراً مهم جداً في تعلم اللغة العربية، ولكن الأهم أن نعرف أي

¹ - انظر: عبد الحسين الزويلف، تواتر الكلمات عند الأميين، (رسالة ماجستير كلية التربية جامعة بغداد 1973).

مفردات التراكيب يحتاج التلميذ المبتدئ ليعبر عن الحالات والظروف التي يعيشها واقعه اليومي. فعلى ضوء ذلك يتم اختيار المفردات والتراكيب¹.

المبادئ التربوية

على ضوء مراقبة التلميذ وتحركه في اكتساب اللغة تظهر الحقائق الآتية:

1 - مبدأ الإجمال: اللقاء الطبيعي مع اللغة لقاء إجمالي بكل ما فيها من غنى وتعقيد في المفردات والتراكيب فعندما نتكلم بالفصحى لا نختار المفردات والتراكيب الأسهل، ويصبح من الطبيعي أن تقدم اللغة للتلميذ المبتدئ بكل غناها، ومن ثم فإن على النشاطات التربوية أن تساعد التلميذ على الانتقال تدريجياً من الفهم الإجمالي إلى التخزين والاستيعاب والتحليل للوصول إلى العناصر اللغوية المبسطة وتملكها واستعمالها في التعبير.

2- عملية الفهم والتعبير عملية فردية: إنها تخضع لعوامل متعددة أهمها عاملا الوقت والاستعداد الجسدي والنفسي هذا الطابع الفردي لا يعني الاستغناء عن دور الفريق في خلق المناخ النفسي والتربوي لمساعدة المتعلم على الاستيعاب والانتقال إلى التعبير.

3- مبدأ الأفضليات: تعطى الأسبقية في تعلم اللغة إلى التعبير الشفهي على القراءة والتعبير الكتابي فلا يقرأ التلميذ مفردات وتراكيب أو يكتبها إلا إذا سبق أن تعلمها مشافهة لأن اللغة نسق صوتي، ولأن الكتابة نسق طارئ عليها الهدف منه استنساخ اللغة، ولهذا فمبدأ الأفضليات يكون كما يأتي: السماع والفهم فالتعبير فالقراءة فالكاتب، أي أننا نستمع إلى لغة ما أكثر مما نعبر بها شفها، ونعبر شفها أكثر مما نقرأ ونقرأ أكثر مما نكتب².

¹ - الجمهورية اللبنانية، مركز الأبحاث اللغوية والتربوية، المصدر السابق، ص 5 - 6.

² - المصدر السابق، ص 6 - 7.

4- مبدأ التعليم بالموقف: هو أن يتم التعليم في مواقف قريبة من المواقف الطبيعية التي يتم فيها التخاطب عادة، وهذا يستوجب إدخال المعينات السمعية البصرية، فالنصوص الحوارية أقرب للموقف الشفهي، والرسالة أقرب للموقف الكتابي.

5- إشراك حركة الجسم في تعلم اللغة: شعور التلاميذ بالارتياح، يسهل عليهم في الصف، اكتساب المهارات اللغوية وإن ما يسهل خلق هذا المناخ من الارتياح الاعتماد على تجنيد الطاقات الفكرية والجسدية في اكتساب مهارات اللغة التي تمر عناصرها عن طريق الأذن والعين، فإن لم يكن الجسد مستعداً لاستقبال اللغة ونقلها إلى الدماغ يتعثر الفهم ويتأخر التعبير، ولهذا تضمن الطريقة تمارين جسمية تحضر المتعلم للفهم وتساعد على الانتباه السمعي والبصري، وإدخال تمارين الإيماء وضرب الإيقاع والتنغيم بالإيماء دليل الفهم الإجمالي للحالة. كذلك ضرب الإيقاع السليم لجملة أو تنغيمها دليل على تمييز الأصوات والكلمات والتمارين الجسدية تساعد التلميذ على بلوغ الهدف الأساس من تعلم اللغة وهو استيعاب العناصر وتوظيفها في النطق والتعبير.

6- عدم استخدام العامية في تعليم الفصحى: إن استخدام العامية "حرق لأبسط قواعد تعليم اللغات، يعطي فيه المعلم المثل السيئ لتلاميذه فيحيّدون عن هدفهم في اكتساب اللغة".

7- اللجوء إلى الألعاب التربوية: من المسلم به أنه "كما كانت الألعاب العظيمة والأعياد الفخمة قديماً عند اليونان وسيلة تنشئة المثل الإغريقية الكاملة في الحياة والسلوك وانتشارها، كذلك، اليوم يكتشف كثير من الأولاد نفوسهم ويستكملون قواها الخلقية والاجتماعية ويزيدون في رسوخها واستحكامها في الألعاب الجماعية للمراهقين والناشئين..."¹.

إن اللعب يؤدي إلى زيادة استكمال القدرة على التعبير، وإن الطبيعة إنما اخترعت اللعب لا ليكون وسيلة للتصريف المأمون للطاقة الفائضة في الكائن الحي، بل كواسطة لاستخدام تلك

¹ — برسي ن، التربية: حقائقها وأصولها الأولى، ترجمة إبراهيم عبد العزيز بسام، بغداد 1964. ص 102.

الطاقة لغرض إعدادة لشؤون الحياة فيما بعد "وتندرج الألعاب التربوية في الجو العام الذي يحيط بتعليم اللغة، فالنظرة التقليدية في تعليم اللغة تقوم على الحزم والصرامة والتهيب من المعلم ولذلك يصعب في جو كهذا الجو القيام بألعاب في الصف، أما النظرة الحديثة في تعليم اللغة فتقوم على الحركة والحيوية في الصف وعلى التعامل بين المعلم وتلاميذه على أساس الصداقة وعدم الرهبة، وهذا جو يسهل فيه القيام بالألعاب التربوية"¹.

مخاض الطرائق الحديثة لتعليم اللغة ووسائلها

إن تطبيق المبادئ التربوية في الطرائق الحديثة لتعليم اللغة قد أحدث تغيراً جذرياً في الوسائل المستعملة في دروس اللغة ابتداء بغرفة الصف وعدد التلاميذ فيها وانتهاء بالأدوات السمعية البصرية التي تدخل في درس اللغة.

1- عدد التلاميذ: إن عدد التلاميذ في كل حصة تستعمل فيها المعينات السمعية البصرية لا يجب أن يزيد على العشرين ليتسنى لجميع التلاميذ أن يقوموا بكل نشاطات الدروس.

2- غرفة الدرس: تصف المقاعد صفّاً واحداً بشكل نصف دائري لتيسير الرؤية مع وجود عارض للفيلم الثابت.

3- عارض الفيلم الثابت وشاشة العرض: آلة كهربائية يمكن المعلم من عرض الأفلام الثابتة التابعة للطريقة السمعية والبصرية وقد يستغنى عن الشاشة إذا كان الجدار أبيض.

4- آلة التسجيل: تعمل بالبكرة أو بالكاسيت حسب نوع الأشرطة التعليمية. وهناك آلات تسجيل مصنوعة خصيصاً لدرس اللغة².

¹ - الجمهورية اللبنانية، مركز الأبحاث اللغوية والتربوية، المصدر السابق، ص 8.

² - المصدر السابق، ص 9.

مخاطر الطريقة:

- _ كتاب المعلم الذي يتضمن الإرشادات التربوية والعلمية.
- _ كتاب التلميذ: الذي يجب أن تتوفر فيه الانقراطية، وقد قام الأستاذ Lorge بوضع قائمة، وجدت بالتجربة أنها تقيس الانقراطية من حيث المفردات وتركيب الجمل¹.
- _ دفتر التلميذ: الذي يحتوي على التعبير اللغوي المنطلق من مبدأ الحوار ويركز على السؤال والجواب للوصول إلى التعبير السليم فترسخ في ذهن التلميذ التراكيب الأساسية، وقد تستثمر هذه التمارين في الصف أو في مختبر اللغة، مع العلم أنها تمارين فردية يقوم بها التلميذ وحده للوصول إلى تخزين التراكيب وترسيخها.
- 4 _ مجموعة الألعاب التربوية: ليس المحو إلى اللعب من باب الترفيه والتسلية فقط، بل أنه وسيلة تربوية تجعل الطلبة يستثمرون من خلال الاشتراك باللعب المكتسبات اللغوية، وتستثمر بعض الألعاب شفهيًا والبعض الآخر كتابيًا.
- 5 _ مجموعة الأشربة التي تستعمل في الصف جماعياً وأخرى يمكن استعمالها فردياً في المختبر اللغوي.
- 6 _ مجموعة الأفلام الثابتة التي تستعمل في الصف.

تفصيل مخاطر الطريقة

أ- القسم الشفهي:

- 1 الحوار: نقطة الانطلاق بالنسبة إلى العناصر الباقية حيث يركز الحوار على الصوت الحي المسجل، والرسوم المعبرة في الأفلام الثابتة. وتنقل هذه الرسوم ما يؤديه المتخاطبون من إيماء وإشارات تعبر عن حالاتهم النفسية من فرح وحزن وتعجب وغضب لتصوير الحالة الطبيعية التي هم فيها.
- 2 نصوص السماع: تهدف إلى تنمية السماع والفهم كما يصلان إلى أذن المتعلم من أصوات تساعد على التحقق من فهمه للمفردات التي تشرح وللتراكيب التي تعرض.

¹ _ أحمد حقي الحلي، كتب المتابعة مفهومها ومبادئها وطرق إعدادها، بغداد. ص 71 _ 72.

3. تمارين فردية لترسيخ المكتسبات: هذه التمارين تساعد التلميذ على الفهم السريع وعلى التعبير اللغوي السليم، وترتكز على طريقة السؤال والجواب. إنها ترسخ لهم التراكيب الأساسية وهذه التمارين فردية يقوم بها التلميذ وحده في الصف ولذلك تسجل على كاسيت ليسهل على التلميذ استعمالها.

4. أفلام صامتة للتعبير الشفهي: عبارة عن سلسلة رسوم حية معبرة عن قصة أو حادثة يستطيع التلاميذ أن يتخيلوها وأن يحضروا حواراً يتلاءم معها. تساعد هذه الأفلام على استثمار ما لدى التلميذ من مكتسبات لغوية فينتقل إلى الكلام والتعبير.

ب- القسم الكتابي:

1. **الخط:** يتم اللقاء بين البصر والخط ضمن إطار نص صغير يعود بمضمونه إلى كلمات وتراكيب سمعها التلميذ وأبصرها، وتحرك اليد بكتابة كلمات وجمل لا بتصوير شكل منفصل أو حرف منفرد. أما الحروف وأشكالها المتعددة فإن التلميذ يكتشفها بالتمارين العنمية من التراكيب إلى العناصر وتارة أخرى من العناصر إلى التراكيب¹.

2. **القراءة:** مفتاح التعليم، فعن طريق القراءة نطلع على ما لا نستطيع أن نختبره بأنفسنا مباشرة فالقراءة تهدف إلى تعويد التلميذ الحالات التي يكون فيها الاتصال باللغة محصوراً بطريقة القراءة التي تنطلق من مواقف واقعية تكون مألوفة بل ضرورية كالبحث عن شارع أو قراءة رسالة أو قراءة دعاية سياحية الخ.

3. **الأدب:** إن الطفل قبل أن يذهب إلى المدرسة يسمع أنواعاً من الأدب فهو يستمع بشغف إلى القصة الجميلة التي تسردها له أمه، وهو يطرب للأغنية التي يسمعها من الراديو أو التلفزيون أو من أمه كما أنه يطرب لنغم الشعر والرنة والموسيقية فيه، حتى أن الرضيع يتلذذ بالأغنية التي يسمعها من أمه فيحلو له سماعها، ويستسلم للنوم.

¹ - المصدر السابق، ص 13 - 14.

يخطئ بعض المعلمين في تدريس الشعر للأطفال وإجبار التلميذ على حفظ أبيات من الشعر لا يستسيغها ذوقه، وقد تكون مفرداتها صعبة وتراكيبها معقدة، فينفر منها التلميذ وقد يحفظها على مضض، ولهذا يراعى في القصائد تدرج التراكيب والمفردات، وأن تكون الأبيات الشعرية مما تدفع على العيش في جو من الشعر العربي الرقيق، وإذا رافق القصائد تسجيل موسيقي يتلاءم مع موضوع كل قصيدة فسيزيد من جمالها وحسن وقعها على أذن التلميذ.

4 تمارين الإملاء: تنطلق هذه التمارين في حالات تكون فيها كتابة ما يسمع (نص برقية مثلاً.....) أمراً طبيعياً عفوياً. من الواضح أنها تمارين إملاء ولكن صبت في قالب اتصالي يترع عنها صفة الإملاء المدرسي الجاف. وتهدف هذه التمارين إلى تعويد التلميذ كتابة ما يسمع بطريقة سليمة وسريعة وإلى تحضيره للانتقال إلى تمارين الإنشاء.

5 الإنشاء: دروس العربية كلها تقصد مران الملكة الإبداعية أو التعبيرية في الطالب، وما النحو واللغة وغيرهما إلا وسائل لغاية هي: الإنشاء ودروس العربية وحدها غير كافية لخلق طلبة مبدعين في التعبير لأن تعلم الألفاظ دون امتلاك ذخيرة يعبر عنها لا يجدي شيئاً¹.

الخطوات التمهيدية: يقترح البعض أن يكون لكل درس إنشائي درس تمهيدي تناقش فيه الفكرة العامة، وهو ما اصطلاح عليه باسم (المحادثة) متوخين من هذا معاونة الطالب على التعبير عما يدور بباليه تعبيراً سليماً ونأخذه برفق إلى ما نراه صائباً، ونترفق كذلك في تصحيح أخطائه اللغوية والنحوية وليتذكر المعلم أن جودة الإنشاء تتوقف على ثلاثة أمور:

- حضور الأفكار التي ستكون موضوعاً للمحادثة.
- معرفة الكلمات التي تدل على تلك الأفكار.
- معرفة أساليب الكلام لترتيب العبارات من تلك الكلمات حسب ما تقتضيه المعاني².

¹ - ناصر الحاني، "نظرة في أصول تدريس الإنشاء" المعلم الجديد العدد 4 بغداد 1952. ص 117.

² - المصدر السابق، ص .

ج- المعارف اللغوية

1 - القواعد: من المسلم به أن قواعد الصرف والنحو هي نظريات حول اللغة لاحقة بها، فالناس يتكلمون اللغة بألسنتهم ويكتبونها قبل أن يصوغوا قواعدها ولذلك فإن تعليم القواعد يجب أن لا يتم إلا بعد أن يكتسب الطفل التراكيب والمفردات الأساسية في اللغة التي يتعلمها. إلا أن ترك تعليم القواعد إلى زمن لاحق على اكتساب اللغة لا يكفي ليقرب القواعد إلى ذهن التلميذ بل لابد من ربط المادة بالمكتسبات اللغوية عند الطفل بحيث يكون درس القواعد ممارسات ذهنية قوامها المفردات والتراكيب التي اكتسبها في التعبير الشفهي والقراءة والتعبير الكتابي، فكاتب وذاهب ونائم تؤدي به إلى فاعل ثم اسم الفاعل وهكذا.

2 - المعاجم: لا نعرف في العربية معجماً يتوجه إلى تلاميذ المرحلة الابتدائية أما المعاجم التي تتوجه إلى المراحل الأخرى فإنها إجمالاً للمعاجم الكبرى. والمعجم وثيقة ومرجع قد يطالعه التلميذ للإفادة من المعلومات الواردة فيه وقد يرجع إليه إذا ما صادفته صعوبة لغوية¹. إنها تجعل من الأمة الناطقة بها كلاماً متراساً خاضعاً لقوانين، إنما الرابطة الوحيدة الحقيقية بين الأجسام وعالم الأذهان. "ولست أعرف لغة من لغات العالم يصدق قول الفيلسوف الألماني أكثر مما يصدق على لغتنا العربية. وقد اتضح للأذهان بعد أن ارتسم في القلوب أن هذه الوحدة العربية تقوم في صميمها على الوعي القومي النابع من تلك المشاركة الروحية العميقة، مشاركة اللغة والعقيدة، والثقافة والحضارة"². وبنه الأستاذ عثمان في هذا المقام "إن للغتنا العربية أثراً في تكوين عقليتنا وتدريب تفكيرنا، وتصرف أفعالنا، وهداية سلوكنا يفوق كل أثر سواه، وأتينا مادماً قد عقدنا العزم على أن نصوص وحدتنا العربية، فواجبنا أن نحافظ بكل ما في وسعنا على خصائص لغتنا، وأن نستمسك في الوقت نفسه بالسلمات الفكرية الأصيلة التي تجعل هذه اللغة فلسفة متميزة"³.

¹ - الجمهورية اللبنانية، مركز الأبحاث اللغوية والتربوية، المصدر السابق، ص 13 - 16.

² - عثمان أمين، فلسفة اللغة العربية، القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة 1965. ص 18.

³ - المصدر السابق، ص 19.

د - أثر الطريقة التدريسية في تحصيل الطلاب

أشرنا إلى أن طريقة التدريس لها علاقة مباشرة بمدى حب الطلاب للتعلم أو الانكماش عنها، وبالتالي فإن للطريقة تأثيراً في تحصيل الطلاب.

وفيسا يأتي إشارات خاطفة إلى بعض الدراسات الجامعية: فقد قام "haslam and brown" في سنة 1965 بدراسة حول أثر الطريقة التدريسية الفعالة في تحصيل الطلاب في القراءة والكتابة والاستعداد للامتحانات وتحسين العادات والدوافع الدراسية، وجرى التجربة على عينة ضابطة وعينة تجريبية في مدرسة ثانوية وتوصلاً إلى أن المجموعة التجريبية فاقت المجموعة الضابطة في العادات الدراسية وكانت النتيجة عند مستوى (0.001) كما فاقت المجموعة التجريبية المجموعة الضابطة في التحصيل وبدلالة إحصائية عند مستوى 0.001¹.

وقدم السيد طه الدليمي رسالة ماجستير في «أثر بعض الطرق التدريسية على تحصيل الطلاب في قواعد اللغة العربية» في عام 1980 وحدد المتغيرات التجريبية وهي العوامل المستقلة وذلك لمعرفة أثرها في المتغير التابع الذي هو التحصيل، وأن الموضوعات التي درست كانت من الكتاب المقرر وهي ستة موضوعات: التمييز، والحال، والمستثنى بإلا، والمجرور بحرف الجر والمجرور بالإضافة والنعت.

وبنى الباحث اختباراً تحصيلياً على قواعد اللغة العربية وفي الموضوعات التي تم تدريسها. وأظهرت نتائج البحث أنه لا فرق ذا دلالة إحصائية في التحصيل بين الطرق التدريسية الثلاث. وهذه النتيجة التي توصل إليها السيد طه الدليمي تخالف ما أظهرته دراسة قام بها باحث من الجمهورية العربية السورية ولمدة سنة دراسية في موضوع قواعد اللغة العربية حيث أظهرت الدراسة أن الطريقة القياسية أفضل من الطريقة الاستقرائية². ومن حيث الأوساط الحسابية فإن دراسة طه الدليمي تشير إلى أن متوسط مجموعة الطريقة الاستقرائية أكثر بقليل من متوسطي مجموعتي طريقة القياس والنص كما في الجدول الآتي:

¹ - انظر. Journal of educational psychology vol 59 n 4 1965 p223.

² - طه الدليمي، أثر بعض الطرق التدريسية في تحصيل الطلاب (رسالة ماجستير كلية التربية جامعة بغداد 1980).

الطريقة	الوسط الحسابي
الاستقرائية	14.009
القياسية	13.880
النص	12.990

على أن هذا الفارق الضئيل لصالح الطريقة لا يعطينا مؤشراً على أن هذه الطريقة أفضل من الطريقتين الآخرين، ولم يعط الباحث تحليلاً مقبولا لهذه النتيجة غير المتوقعة، لأن أكثر الأدبيات التي ذكرها في رسالته في الفصل الأول، تختلف عما جاء في بحثه¹. إن دراسة حنان الجبوري "رسالة دكتوراه" استهدفت معرفة تأثير الطريقة الاستقرائية والقياسية والجمع بين الطريقتين الاستقرائية والقياسية والطريقة التقليدية وتشير إلى ما يأتي:

- هناك فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل لصالح الطريقة الاستقرائية.
- أن الطريقة القياسية جاء تفوقها بالمرتبة الثانية.
- احتلت طريقة الجمع بين الطريقتين الاستقرائية والقياسية المرتبة الثالثة².

الخلاصة: العربية أمانة نتحملها جميعاً

يتصور البعض أن المسؤول عن العربية، والحفاظ عليها في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية هو القائم بتدريس اللغة العربية، فإذا أخطأ أحد مدرسي الاجتماعيات أو العلوم أو غيرهما فعذرده أنه ليس مسؤولاً عن العربية، كأن الحفاظ على سلامة اللغة من مهمة مدرس اللغة وحده، وهو مفهوم خاطئ لأن جميع المدرسين يستعملون اللغة في تدريسهم، والبراعة تمكن ليس في معرفة المادة العلمية فقط وإنما كيف يعبر عنها وينقلها إلى الطلاب بيسر عن طريق براعته اللغوية.

¹ - المصدر السابق، ص 66.

² - المصدر السابق، ص 41.

"إن تعلم العربية، والإلمام بمبادئها، ثم المحافظة على سلامتها وأصالتها فرض على كل منتسب إلى هذه الأمة، وعلى كل منتسب إلى هذا المعهد أو ذاك، أو إلى هذه الجامعة أو تلك، أو هذا القسم أو ذاك، مدرس التاريخ، ومدرس الجغرافيا، ومدرس التربية، ومدرس اللغة الإنكليزية، ومدرس العلوم على اختلافهم جميعاً شركاء في تحمل هذه المسؤولية..."¹.

ومن قبل أفاض الفيلسوف الألماني "فيخته" في كتابه نداءات إلى الأمة الألمانية، وبعد موقعة "ينا" أثر هزيمة بروسيا على يدي نابليون، مينا ما للغة من أثر بالغ في تطور الشعوب، فقال: "أن اللغة تلازم الفرد في حياته وتمتد إلى أعماق كيانه، وتبلغ إلى أخفى رغباته وخطراته أنها تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً متراساً خاضعاً لقوانين، إنما الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان".

"ولست أعرف لغة من لغات العالم يصدق عليها قول الفيلسوف الألماني أكثر مما يصدق على لغتنا العربية. وقد اتضح للأذهان بعد أن ارتسم في القلوب أن هذه الوحدة العربية تقوم في صميمها على الوعي القومي النابع من تلك المشاركة الروحية العميقة، مشاركة اللغة، والعقيدة، والثقافة والحضارة"²، وبنه الأستاذ عثمان في هذا المقام، "إن للغتنا العربية أثراً في تكوين عقليتنا وتدريب تفكيرنا، وتصرف أفعالنا، وهداية سلوكنا يفوق كل أثر سواه، وأتينا ما دمنا قد عقدنا العزم على أن نصون وحدتنا الأصلية التي تجعل لهذه اللغة فلسفة مميزة"³.

وفي الختام اقتبس ما قاله أبو منصور الثعالبي: "أن من أحب رسوله المصطفى ﷺ ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها وثأبر عليها، وصرف همته إليها"⁴.

¹ - مهدي المخزومي، العربية... أمانة نتحملها جميعاً، الثقافة، بغداد، السنة 9 عدد 1.

² - أمين عثمان، المصدر السابق، ص 18.

³ - المصدر السابق، ص 19.

⁴ - عبد المالك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، بيروت دار مكتبة الحياة ص 2.